مجلة الدراسات الإسلامية، المجلد 35، العدد (3)، ص ص 117 - 136، الرياض (2023م/ 1445هـ)

مسارب الخُلجان لتحرير معنى قول الله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن:22]

سعد بن محمد بن سعيد آل عثيمين[1]

جامعة المجمعة

(قدم للنشر في 23/ 10/ 1445هـ؛ وقبل للنشر في 09/ 03/ 1446هـ)

المستخلص: هذا العمل يعنى بدراسة قضية في قول الله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: 22]. وقد هدفت الدراسة إلى تتبع ما قيل في معنى الآية، والوقوف على ما قاله أهل الخبرة والاختصاص في المسألة، وتحرير المعنى الراجح الذي دلت عليه الآية. وكان من أبرز نتائجها: وجود خلاف في الآية بين طائفة حملتها على ظاهرها، وأخرى على خلاف الظاهر، فمن حملها على ظاهرها اختلفوا في تحديد ماهية العذب على أقوال تتداخل وعليه رجحت أنه مطلق العذب، والذين حملوها على خلاف الظاهر ترتب على قولهم إشكال نسبة خروجها إلى البحرين وهم يقولون من المالح، وقد اجتهدوا في دفع الإشكال بين قول بأنه لاجتماعهما في سياق واحد جريًا على عادة العرب، وبين قول بأن هناك محذوف تقديره من أحدهما. كما ظهر بالبحث شهرة القول بوجود علاقة بين مطر الوسم ووفرة اللؤلؤ ورجح الباحث في معنى الآية حملها على ظاهرها؛ لموافقته لصريح الآية في سورة فاطر، وموافقته لسياق سورة الرحمن، ولعدم ترتب إشكال في نظم الآية ولغير ذلك. وتوصي الدراسة بجمع الآيات التي فسرت على خلاف ظاهرها استنادًا على دليل الحس، وبوضع دراسة أخرى عن الترجيح بين أقوال المفسرين بالنظريات والحقائق العلمية الصادرة عن أهل الخبرة.

الكلمات المفتاحية: يخرج، اللؤلؤ، المرجان، البحر، العذب، الملح.

Clarifications on the most likely meanings indicated by the verse twenty second of Surat Al-Rahman

Saad bin Mohammed bin Saeed(1)

Majmaah University

(Received 02/06/2024; accepted for publication 12/09/2024.)

Abstract: This research paper is concerned with an analytical study of some matters related to the interpretation of the words of God Almighty in verse 22 of Surat Al-Rahman, which can be translated as follows: "From them emerge pearls and coral". The study aimed at tracing the meanings of the aforementioned verse, in order to find out what experts and specialists said with respect to the meanings, and to clarify the most likely meaning indicated by the verse. Among the most prominent results of the study is that there is a disagreement in the verse, as some see that applying the meaning to the apparent meaning, and others see the opposite, contrary to the apparent meaning.Those who believe that the meaning is applied to the apparent meaning differed in defining the nature of "the fresh", with several opinions favoring the fresh waters. As for those who disagreed with the aforementioned opinion, they ran into problems. Including the relationship of its emergence to the two seas, while they say both emerge from the salty sea, and they tried to justify it in two ways.The first is that this is the Arabs' custom of expression, and the second is that there is an omitted pronoun, meaning one of them.The research also revealed that there is a relationship between rainwater fall and the abundance of pearls.The first opinion is preferred for many reasons, the most important of which is its consistency with the clear meaning of the verse in Surat Fatir. The study recommends collecting verses that interpreted contrary to their apparent meaning by developing another studies on the preference between the statements of commentators and scientific theories and facts issued by experts and specialists.

Keywords: Emerges, Pearls, Coral, Sea, Fresh, Salt.

---

(1) الأستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية، كلية الشريعة والقانون، جامعة المجمعة.

(1) Associate Professor, Department of Islamic Studies, College of Sharia and Law, Majmaah University.

البريد الإلكتروني: s.alothaimeen@mu.edu.sa *e-mail:*

مقدمة

الحمد لله الرحمن، الذي مرج البحرين يلتقيان، بينهما برزخ لا يبغيان، وأخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فبأي آلائه يكذب الإنس والجانّ. والصلاة والسلام على نبينا محمد، المؤيد بالقرآن حجةً ظاهرة، ومعجزةً قاهرة. ورضي عن آله وأصحابه وأتباعهم إلى يومٍ فيه وجوههم ناضرة.

وبعد ففي كتاب الله آيات اختلفت أقوال المفسرين في مراد الله منها، هي حرية بالتحرير، من هذه الآيات قوله تعالى: ﴿يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾ [الرحمن: 22]، حيث وجدت أن اللغويين أبدوا فيها رأيًا اشتهر بين طوائف من المفسرين حتى ربما ظنَّ الظانّ منَّا أنه الحق الذي لا خلاف فيه؛ مقتضى هذا الرأي أن الضمير فيها ليس على ظاهره بل المراد به البحر المالح دون العذب؛ فرأيت تناول هذه الآية بالدرس والتحرير خروجًا بما أراه الصواب في معناها. ورأيت تسمية ما أكتبه: مسارب الخُلْجان لتحرير مرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾ [الرحمن: 22].

أهمية البحث:

تظهر أهمية هذا البحث من خلال ما يأتي:

1- عنايته بتفسيرِ آيةٍ مِن كتابِ الله جاءت ضمن الحديث عن آلاء الله على الثقلين حديثًا نَصَبَه دليلًا على أحقيته بالعبودية.

2- أنه يتعلق بلونٍ من ألوانِ إعجاز القرآن؛ ألا وهو الإعجاز العلميّ.

3- أن الآية يتنازعها أمران: توظيف أسلوب من أساليب العربية، وتوظيف معيار من المعايير الأساسية للتفسير العلميّ والاستنباط من النص القرآنيّ.

حدود البحث:

سيناقش البحث معنى الآية الثانية والعشرين من سورة الرحمن في ضوء استعراض أقوال اللغويين والمفسرين وأهل الاختصاص والخبرة من الغواصين لصيد اللؤلؤ.

مشكلة البحث:

مررتُ في غير ما كتابٍ من كتب التفسير وكذلك اللغة على إثارةِ إشكال حول قوله تعالى: ﴿يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾ [الرحمن: 22]؛ كيف يُسْنِد خروجَ اللؤلؤ والمرجان إلى البحرين: العذب والمالح وهما إنما يخرجان من المالح؟ وكنتُ أنظر في الإجابة عن هذا الإشكال فيحيك في صدري ما يجعلني غير مسلِّم تمام التسليم بما تُخُرِّج عليه الآية؛ فكانت هذه السؤالات:

1- هل هذا هو القول الأوحد في معنى الآية أم ثَمَّ غيره؟

2- ما قول أهل الخبرة والاختصاص من الغواصين صائدي اللؤلؤ والمرجان في المسألة؟

3- هل مرجع الضمير في الآية للبحرين على الحقيقة أم أنه على المجاز؟

أهداف البحث:

يسعى البحث إلى تحقيق ما يأتي:

1- تتبع الأقوال التي قيلت في معنى قوله تعالى:

﴿يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾ [الرحمن: 22].

2- الوقوف على قول أهل الخبرة والاختصاص من الغواصين في المسألة.

3- تحرير القول الراجح في معنى الآية.

الدراسات السابقة:

هناك جهود ودراسات متنوعة متناثرة، بيد أني لم أقف على دراسة أفردت ما أريد الوقوف عليه في هذا البحث، ومن الدراسات المتناثرة:

1- اللؤلؤ والمرجان ومن أي البحار يستخرجان. مقال للدكتور الشيخ: عبدالرحمن تاج، منشور في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الجزء (27)، في الصفحات 17- 23، بتاريخ فبراير سنة 1971م.

تناول الكاتب في هذا المقال الموضوع بالحديث أولًا عن حقيقة اللؤلؤ وحقيقة المرجان وأنهما شيئان مختلفان، وأن المرجان لا يكون إلا في الملح، أما اللؤلؤ فمختلَف فيه، وتطرق للإشكال في تفسير آية سورة الرحمن التي صرحت بخروج اللؤلؤ من البحرين العذب والملح عند من يقول: إنه -أيضًا- لا يخرج إلا من الملح، كما تطرق لضروب من التأويل التي اضطر إليها القائلون بهذا القول، ومال في النهاية إلى عدم الوقوف عند ما وقف عنده المفسرون بل تجب متابعة البحث والرجوع إلى أهل الذكر والعلم في هذه المسألة والاستناد إلى نتائج البحوث العلمية وثقات أهل العلوم الذين قرروا خروجه من العذب كما يخرج من المالح.

ورغم ما بذله الكاتب من جهد في الموضوع، ووجود تشابه بين المقال وبين ما أقوم به؛ إلا أن المقال يفتقر إلا مقومات الأبحاث المحكَّمة من مقدمة تشتمل على أهداف، وأسئلة دراسة، ومنهج، وخطة، وتوثيق معلومات. كما يلْحَظ على الكاتب أنه عند الترجيح استند على كلام ثقات أهل العلوم وحسب، ولم يرجع لذوي الخبرة والاختصاص ممن باشر صيد اللؤلؤ ونزل إلى حيث مكامنه. ودراستي تتمتع بما افتقر إليه المقال، وبالسلامة مما لحظ على طريقة كاتبه عند الترجيح.

2- التطبيق الجغرافيّ لما جاء في قوله تعالى: (مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان). مقال لمحمد متولي، منشور في المجلة الجغرافية العربية، مجلد (18)، عدد (19) في الصفحات 1-27 بتاريخ 1987م.

ذكر كاتب المقال عنه أنه اجتهاد في سبيل الإجابة عن سؤال وجهه إليه إمام الأزهر: أ. د. عبدالرحمن تاج؛ طلب منه تحديد جغرافية هذين البحرين، وأن يحدد له مكان التقائهما، وموقع البرزخ الذي يفصل بينهما. وكان فيما تناوله أقوال المفسرين عن اللؤلؤ والمرجان تمهيدًا لحديثه عن طبيعة اللؤلؤ والمرجان الخارج من هذين البحرين؛ وذلك في سبيل التطبيق الجغرافي لما جاءت به الآيات الكريمات.

خلص المقال إلى أن المراد بالبحرين هما خليج العرب والعيون العذبة فيه.

الدراسة التي اشتمل عليها هذا المقال -رغم أنها

منشورة في مجلة محكّمة، وبذل الكاتب جهْدًا مميزًا فيها- يُلْحَظ أنها افتقرت لكثير من مقومات الأبحاث المحكّمة؛ فلا توجد لها مقدمة، ولا أهداف، ولا منهج، ولا خطة، ولا خاتمة بالنتائج والتوصيات، ناهيك بأنها لم تركّز الدرس على مرجع الضمير في آية سورة الرحمن، كما أن أسئلة مشكلة البحث فيها مختلفة عنها لديّ، وكذلك المراجع التي انطلق منها الكاتب؛ إذ اكتفى بما لدى المفسرين ولم يزد عن خمسة؛ منهم متقدمون ومنهم متأخرون، أما دراستي فقد وسعت الدائرة في أوساط المفسرين، وتجاوزتهم إلى اللغويين وغيرهم، ثم إن الآيات التي انطلق منها صاحب المقال هي الآيات التي تحدثت عن البحرين في سور الفرقان والنمل وفاطر والرحمن بهدف تحديد البحرين، بخلاف دراستي فإنها تركز على آية سورة الرحمن، وتبحث على وجه الخصوص في مرجع الضمير (منهما) أهو على الحقيقة أم على المجاز؟

3- البلاغة والإعراب والبيان في القرآن الكريم: أول سورة الرحمن. مقال لراشد بن عبدالله الفرحان نشرته مؤسسة الصحافة والنشر، مكتب البعث الإسلاميّ، مجلد (67) عدد (7) في الصفحات 16- 20، سبتمبر سنة 2021م.

تناول الكاتب الآية التي هي موضوع البحث بالنقاش في ثلاثة أسطر، ذكر في معنى الضمير رأيًا واحدًا هو المشتهر عند اللغويين والمفسرين.

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهرس. فأما المقدمة فتتضمن بعد الديباجة أهمية البحث ومشكلته، وأهدافه، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهجه وإجراءاته.

وأما المباحث فعلى النحو الآتي:

- **المبحث الأول**: عَرْض الخلاف حول مرجع الضمير في قوله: ﴿يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾ [الرحمن: 22].
- **المبحث الثاني**: قول أهل الخبرة والاختصاص من الغواصين في المسألة.
- **المبحث الثالث**: تحرير القول الراجح بمرجع الضمير في قوله: ﴿يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾ [الرحمن: 22].
- وفي الخاتمة ذكرت نتائج البحث وتوصياته.
- أما الفهارس فسأقصرها على المصادر والمراجع.

منهج البحث وإجراءاته:

سرتُ على المنهج الاستقرائيّ والمنهج التحليليّ، وأَخَذْتُ في صياغة البحث بالإجراءات الآتية:

1- جَمَعْتُ الأقوال التي قيلت في معنى الآية من كتب التفسير واللغة.

2- عزوتُ الأقوال إلى مصادرها في الحاشية.

3- بَيَّنْتُ المصطلحات، وغريب المفردات.

4- ضَبَطْتُ المشكل من الكلمات.

5- عَلَّقْتُ على ما يحتاج إلى تعليق مِن مسائل علمية.

6- كَتَبْتُ الآيات بالرسم العثمانيّ، وعَزَوْتُها بذكر اسم السورة ورقم الآية داخل النص.

7- إن عرض ذِكْر حديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيتُ بعزوه إليهما دون الإشارة إلى غيرهما، وإلا أعزوه إلى دواوين السنة الأخرى، مع بيان درجته عند أئمة الحديث.

8- لم أترجم لأحد من الأعلام طلبًا للاختصار؛ إلا أن يكون مغمورًا لديّ.

على الله أتوكل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحميد.

***

المبحث الأول:

عَرْض الخلاف حول مرجع الضمير في قوله تعالى:

﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: 22]

اختلف العلماء في حقيقة عَود الضمير في (منهما) من قول الله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: 22] إلى البحرين العذب والمالح على قولين:

القول الأول: أنه يخرج من البحرين العذبِ والمالح، ثم إن أصحاب هذا القول اختلفوا في ماهية العذب على أقوال:

أولها: أن المراد بالبحرِ العذبِ قَطْرُ السماء؛ حكاه الطبريّ عن ابن عباس ﷺ وعكرمة، وهو المترجح لدى الطبريّ[1]. ومما نقله بسنده عن ابن عباس ﷺ قوله: "إن السماء إذا أمطرت، فتحت الأصداف أفواهها؛ فمنها اللؤلؤ"، وعن عكرمة قوله: "ما نزلت قطرة من السماء في البحر إلا كانت بها لؤلؤة أو نبتت بها عنبرة".

وحكاه البغويّ[2] عن ابن جريج بنحو ما روى الطبريّ عن ابن عباس ﷺ. وعَدَّ الكرمانيّ هذا القولَ من غرائب التفسير[3].

ثانيها: أن المرادَ بالبحرِ العذبِ العيونُ التي تنبع في البحر المالح[4]، حكاه مكيّ[5] والماورديّ فذكر: "أن العذب والمالح قد يلتقيان فيكون العذب كاللقاح للمالح؛ فنُسِب إليهما كما نسب الولد إلى الذكر والأنثى وإنْ وَلَدَتْه الأنثى؛ ولذلك قيل: إنه لا يخرج اللؤلؤ إلا من موضعٍ يلتقي فيه العذب والمالح"[6].

آخرها: إطلاق القول بالعذب دون تحديد ماهيته، نسبه الواحديّ لمقاتل[7].

---

(1) يُنْظَر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبريّ (22/ 208- 209).

(2) يُنْظَر: معالم التنزيل، البغويّ (4/ 334).

(3) يُنْظَر: غرائب التفسير وعجائب التأويل، الكرمانيّ (2/ 1170). ومصطلح الغريب لدى الكرمانيّ له مدلول متعدد الوجوه فقد يريد به ما يقابل القريب، أو ما يقابل ما عليه إجماعٌ أو شبهُه أو المتعارف عليه المشهور، أو ما فاق وعلا عن القريب المبتذل، أو ما كان فيه شيء من الغموض الذي يبعد عن إدراك المتلقي وفهمه. يُنْظَر: "مصطلح الغريب" قراءة في كتاب غرائب التفسير وعجائب التأويل للشيخ الإمام برهان الدين أبي القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرمانيّ (ت نحو 535هـ)، الأستاذ الدكتور: الغزالي محمد حامد حسين، ص2854.

(4) يسميها العامة بلهجة أهل الخليج الدارجة (الچواچب) بضم هذا الحرف چ الأول، يُنْظَر: ملحق الصور (الصورة رقم: 1 و2).

(5) يُنْظَر: الهداية، مكيّ (9/ 5962).

(6) النكت والعيون، الماورديّ (5/ 431).

(7) يُنْظَر: البسيط، الواحديّ (21/ 155).

وحكاه الزمخشريّ دون نسبة[8]. وهو المترجح لدى ابن عطية، قال: "والظاهر عندي أن قوله تعالى: ﴿ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ يريد بهما نوعي الماء: العذب، والأجاج؛ أي: خَلَطَهما في الأرض وأَرْسَلَهما متداخلَين في وضعهما في الأرض، قريبٌ بعضهما من بعض ولا بغي"[9]، وهذا مسلك حسن يجتمع به القولان السابقان؛ فإن العيون التي تنبع من الأرض أصلها من المطر، وكما تتفجر في اليابسة تتفجر في البحر؛ قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر: 21] قال الشعبيّ: "كل ماء في الأرض فمن السماء نزل"[10].

وأيًّا ما كانت حقيقة هذا البحر العذب فإن أصحاب هذا القول جعلوا الآية على ظاهرها. و(مِن) في ﴿مِنْهُمَا﴾ سببية[11]؛ أي: بسبب التقائهما تولّد اللؤلؤ والمرجان.

القول الآخر: أنه إنما يخرج من الماء المالح، ثم إن أصحاب هذا القول لم تتفق كلمتهم على تأويل نسبة خروجهما إلى البحرين العذب والمالح؛ ودونك ما وقفتُ عليه من تأويلاتهم:

الأول: أن البحرين لما اجتمعا في سياق واحد جاز أنْ يُنْسَبَ خروج اللؤلؤ والمرجان إليهما.

وهذا القول يبدو أن أول من قال به أهل العربية بحسب ما أفهمَه كلامُ الطبريّ[12]، وقد عزاه الثعلبيّ إلى الكلبيّ[13]، وهو القول المشتهر والمعنى الذي تُحْمَل الآية عليه عند جماهير المفسرين[14] واللغويين[15].

وقد ساق أصحاب هذا القول دلائل لما ذهبوا إليه؛ وهي شواهد من القرآن وكلام العرب نثره وشعره ليقرروا بها هذا الأسلوب العربيّ الذي حملوا الآية عليه، ومما استدلوا به -أيضًا- الحس.

---

(8) يُنْظَر: الكشاف، الزمخشريّ (4/ 445-446).

(9) المحرر الوجيز، ابن عطية (5/ 228).

(10) معالم التنزيل، البغويّ (4/ 84).

(11) يُنْظَر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (27/ 250).

(12) يُنْظَر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبريّ (22/ 208-209).

(13) يُنْظَر: الكشف والبيان، الثعلبيّ (9/ 181).

(14) يُنْظَر: معاني القرآن، الفراء (3/ 115)؛ ومجاز القرآن، أبو عبيدة (2/ 154)؛ وتأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص175؛ ومعاني القرآن وإعرابه، الزَّجَّاج (5/ 100)؛ وأحكام القرآن، الطحاويّ (2/ 292)؛ وتأويلات أهل السنة، الماتريديّ (2/ 167)؛ وأحكام القرآن الجصاص (3/ 553)؛ وبحر العلوم، السمرقنديّ (3/ 381)؛ وتفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين (4/ 328-329)؛ والنكت والعيون الماورديّ (2/ 170)؛ والبسيط، الواحديّ (21/ 155)؛ وتفسير القرآن، السمعانيّ (5/ 327) وغرائب التفسير وعجائب التأويل الكرمانيّ (2/ 1170)؛ ومعالم التنزيل، البغويّ (1/ 123)؛ والكشاف، الزمخشريّ (4/ 445-446) والجامع لأحكام القرآن، القرطبيّ (7/ 86)؛ ومدارك التنزيل، النسفيّ (3/ 412)؛ والتسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزيّ (2/ 173)؛ والبرهان في علوم القرآن، الزركشيّ (3/ 3)؛ والإتقان في علوم القرآن، السيوطيّ (3/ 130)؛ وفتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن، زكريا الأنصاريّ، ص509.

(15) يُنْظَر: فقه اللغة الثعالبيّ، ص253؛ وحياة الحيوان الكبرى، الدميريّ (1/ 304)؛ وإعراب القرآن وبيانه، درويش (9/ 404).

فأما أدلة القرآن: فمنها قول الله تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ ...﴾ [الأنعام: 130]؛ قال وهو يخاطب الإنس والجن: ﴿رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ والرسل من الإنس دون الجن[16].

وقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ١٥ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا﴾ [نوح: 15-16] فظاهر كلام الله أن القمر والشمس في السماوات السبع، والواقع خلاف ذلك فهنّ في إحداهنّ؛ لكن لما ذَكر السبع إجمالًا كان ما في إحداهنّ فيهنّ[17]. وغير ذلك من الآيات التي احتجوا بها.

وأما كلام العرب: فجعلوه مثل قولهم: أكلت لبنًا وخبزًا[18].

وأما الشعر: فاستشهد هؤلاء[19] بقول الشاعر[20]:

..... * متقلّـدًا سيفـًا ورمحـًا

ونحوه من شِعرهم[21].

وأما الحس: فقد نقل ابن عطية أنَّ ناسًا ردّوا القول بظاهر الآية الذي يرى أصحابه أن اللؤلؤ والمرجان يخرجان من المالح والعذب، وعللوا تركهم الأخذَ بظاهر الآية بأن الحس يخالفه[22]، وبه قال ابن جزيّ[23].

الوجه الآخر في محاولة دفع الإشكال عن الآية حين حَمْلها على خلاف الظاهر: أنهم أوّلوا ذلك بتقدير محذوف؛ أي: يخرج مِن أحدهما[24]. وانتقد النَّحَّاسُ هذا التأويل وعَدَّه بعيدًا[25].

وفي قول القائلين بخروجه من المالح ستكون (مِن) في ﴿مِنۡهُمَا﴾ ابتدائية[26]، أي: أن ابتداء خروجهما من المالح.

* * *

المبحث الثاني:

قول أهل الخبرة والاختصاص من الغواصين في المسألة

ربما قيل: ما الذي يُحْوِج إلى الرجوعِ لقول أهل الخبرة والاختصاص من الغواصين في المسألة، والنظرِ في كلامهم بين يدي ترجيح القول في معنى الآية؟

فأقول: أحْوَجَ إليه أمور:

(16) يُنْظَر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبريّ (9/ 561)؛ والكشف والبيان، الثعلبيّ (9/ 181).

(17) يُنْظَر: معاني القرآن وإعرابه، الزَّجَّاج (5/ 100).

(18) يُنْظَر: مجاز القرآن، أبو عبيدة (2/ 154)؛ وتفسير القرآن، السمعانيّ (5/ 327).

(19) يُنْظَر: مجاز القرآن، أبو عبيدة (2/ 154)؛ وجامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبريّ (22/ 201)؛ والمحرر الوجيز (5/ 228).

(20) البيت لعبدالله بن الزِّبَعْرَى ﷺ في كتاب الشعر، الفارسيّ، ص532؛ وأمالي ابن الشجريّ (3/ 82)؛ وإيضاح شواهد الإيضاح القيسيّ (1/ 245)؛ شعر عبدالله بن الزبعرى، الدكتور يحيى الجبوري، ص32.

(21) يُنْظَر: المحرر الوجيز، ابن عطية (5/ 228).

(22) يُنْظَر: المرجع السابق.

(23) يُنْظَر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزيّ (2/ 173).

(24) يُنْظَر: الحجة للقراء السبعة، الفارسيّ (2/ 311)؛ والهداية؛ لمكي (11/ 7222)؛ وغرائب التفسير وعجائب التأويل، الكرمانيّ (2/ 1170)؛ وإيضاح شواهد الإيضاح، القيسيّ (1/ 59)؛ والتبيان في إعراب القرآن، العكبريّ (2/ 1199).

(25) يُنْظَر: إعراب القرآن، النَّحَّاس (4/ 207).

(26) يُنْظَر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (27/ 249).

أولها: نَقْل السمعانيّ قول القَفَّال الشَّاشِي[27]: أَن اللؤلؤ والمرجان لا يكون إلا في ملتقى البحرين أول ما يُخْلَق، ثم يكون موضع الأصداف بعد ذلك هو البحر المِلْح دون العذب؛ فيصح بذلك قول الله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا﴾ في الابتداء عند ملتقى البحرين. ثم عقّب السمعانيّ على تخريج القفّال فقال: "وهذا قول حسن إنْ كان كذلك"[28]. وهذا الاستحسان المعلَّق على كينونته دَفَع إلى التحقق من الكينونة بسؤال أهل الاختصاص والخبرة، والنظر في الكتب التي دونوا فيها عن ركوبهم البحر بغية استخراج اللؤلؤ وما سطروا فيها من مشاهداتهم.

ثانيها: قول مَن يرى أنهما يخرجان من الملح دون العذب بأنه المشهور عند الغواصين ليثبتوا أنه الموافق للحس[29]؛ فهذا يدفع إلى التحقق من هذه الدعوى بسؤال أهل الاختصاص والخبرة، والنظر فيما دونوا في هذا الشأن؛ لاسيما مع ما توافر في هذه الأزمنة مما لم يتهيأ مثله للمتقدمين من معطيات تُعِيْن على تتبع نشأة اللؤلؤ والمرجان ومعرفة خصائص تتعلق بهما. فإنْ ثبت بعد هذا أنّ الواقع موافقٌ ظاهر الآية فإنّ ذلك يبرز وجهًا من وجوه الإعجاز العلميّ في القرآن الكريم.

آخرها: أن الآية لما كان لها علاقة بقضية علمية مستنبطة من القرآن الكريم، والعلومُ التجريبية على مراتب في تصورها؛ إما تكون فرضية وهي الطرح الاحتماليّ، وإما أن تكون نظرية وهي التي لها براهين ولا تزال تتطور وتنقّح فهي غير ثابتة، وإما أن تكون حقيقة علمية وهي الأمر الثابت المستقر الذي شهدت له التجربة وقام عليه البرهان بلا خلاف[30]؛ ويظهر للباحث أن القضية العلمية الموجودة في الآية موضع الدراسة لا تعدو أن تكون من المرتبة الثانية فما فوقها؛ لذا فإننا أمام الاختلاف في المراد بالآية نحتاج إلى معيار منهجيّ في التعامل معها؛ عملًا بالقاعدة الشرعية المعروفة: (الحكم على الشيء فرع عن تصوره) وتصوره إن لم يكن بالمشاهدة والتجربة فبطلب أقوى البراهين والقرائن المتاحة، والمتاح للباحث هو سؤال أهل الخبرة مِن ثقاتِ أهلِ الاختصاص.

والخبرة: "نتاج ما مرّ به الشَّخص من أحداث أو رآه أو عاناه [أو هي:] مجموع تجارب المرء وثقافته ومعرفته"[31].

وقد دلت النصوص على الاعتبار بها في مسائل الشرع؛ فمن القرآن قول الله تعالى: ﴿... فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ...﴾ [النحل: 43-44]. قال السعديّ: "وهذه الآية وإنْ كان سببها خاصًّا بالسؤال عن

(27) هو: أبو بكر، محمد بن علي بن إسماعيل، المعروف بالقَفّال الكبير، فقيه أصوليّ لغويّ مفسر، عالم خراسان، من أئمة الشافعية، توفي سنة 400هـ. يُنْظَر: سير أعلام النبلاء، الذهبيّ (16/ 283)؛ وطبقات الشافعية الكبرى، السبكيّ (3/ 200).

(28) تفسير القرآن، السمعانيّ (5/ 327).

(29) يُنْظَر: المحرر الوجيز، ابن عطية (5/ 228).

(30) يُنْظَر: التفسير العلميّ في برنامج "لا يوجد تعارض"، للدكتور: مرهف السقا (2/ 412-413).

(31) معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار، ص608.

حالة الرسل المتقدمين لأهل الذكر وهم أهل العلم، فإنها عامة في كل مسألة من مسائل الدين أصولِه وفروعِه إذا لم يكن عند الإنسان علم منها أنْ يَسْأل مَن يعلمها. ففيه الأمر بالتعلُّم والسؤالِ لأهل العلم، ولم يؤمر بسؤالهم إلا لأنه يجب عليهم التعليم والإجابة عما عَلِموه. وفي تخصيص السؤال بأهل الذكر والعلم نهيٌ عن سؤال المعروفِ بالجهل وعدمِ العلم ونهيٌ له أن يتصدى لذلك"[32].

أما دليل الاعتبار بها من السنة فإن النبيّ ﷺ دخل على عائشة رضي الله عنها ذات يوم وهو مسرور فقال: "يا عائشة ألم تري أن مجزِّزًا المدلجيّ[33] دخل عليّ فرأى أسامة بن زيد وزيدًا وعليهما قطيفة قد غطيا رؤوسهما، وبدت أقدامهما، فقال: إن هذه الأقدام بعضها من بعض"[34]. ووجهه: أنه ليس من دأب النبي ﷺ السرور بما هو باطل لا يسوغ في شريعته[35]؛ فيقاس عليه الاعتبار بكلام أهل الخبرة كلٌّ في ما هو مختص به ومشتهر عنه؛ فقومُ مجزِّز كانت فيهم وفي بني أسد القيافة[36] تعترف لهم العرب بها[37].

وبعدُ فهذا أوان عرض خلاصة ما أفدته من كلام الغواصين ذوي الخبرة والاختصاص عن أماكن اللؤلؤ والمرجان في البحار. والمعلومات التي سأسوقها منها ما أفدته من مؤلفات كتبوها، ومنها ما أخذته من منهم مباشرة من خلال حوارات معهم.

1- ذكر سيف بن مرزوق الشملان[38] في حديثه عن كيفية تكون اللؤلؤ أن الكتب العربية القديمة تحدثت عن ذلك، وأنها تكاد تجمع على أنه يتكون من قطرات المطر، وسمَّى بعضًا من تلك الكتب، ثم عقّب على ذلك بأن الحقيقة العلمية تعارض ما ذكره أولئك العلماء، وكذلك تعارض ما ذكره الشعراء في أشعارهم من أن اللؤلؤ يتكون من قطرات المطر، وكشف عن هذه الحقيقة العلمية؛ بأن شيئين مهمين يراهما منذ القديم أهل البحر يفندان آراء أولئك العلماء؛ والشيئان هما:

(32) تيسير الكريم الرحمن، السعديّ، ص519.

(33) هو: مجزز بن الأعور بن جعدة الكنانيّ المدلجيّ، شهد فتح مصر، ولا تعرف له رواية، وفي إسلامه خلاف واعتماد النبي ﷺ قوله في شأن أسامة وأبيه دليل على أنه لم يكن حينها كافرًا. يُنْظَر: تاريخ ابن يونس المصريّ (1/ 428)؛ والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر (5/ 576).

(34) أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب: الفرائض، باب: القائف (ح: 6771) 8/ 157؛ ومسلم في صحيحه (ح: 1459) 2/ 1082 وهذا لفظ البخاريّ.

(35) يُنْظَر: شرح صحيح البخاريّ، ابن بطال (3/ 386).

(36) القائف: هو من يتتبع الآثار ويعرفها، ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه، وجمعه القافة. وقيل: إنه مَن يعرف النسب بفراسته ونظره لأعضاء المولود. يُنْظَر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (4/ 121)؛ ومعجم لغة الفقهاء، قلعجي وقنيبي، ص353.

(37) يُنْظَر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النوويّ (10/ 41).

(38) وهو من أسرة عريقة معروفة في الكويت بالغوص على اللؤلؤ وتجارته؛ كذا أفادني نواف بن عبدالله العصفور الباحث في التراث البحريّ وعضو مجلس إدارة الجمعية الكويتية للتراث، والعصفور يتبنى رأي الشملان في عدم وجود علاقة بين المطر وتكوّن اللؤلؤ، بل يعده من الأساطير.

الأول: أن من سافر في البحر أو عمل فيه لم يشاهد الأصداف تطفو على سطح البحر تتلقف قطرات المطر، ولم يشاهدوها تأتي إلى الساحل وبعد ذلك تعود إلى قعر البحر.

الآخر: أن الأصداف تكون ثابتة في قاع البحر، وبعضها لا يقلعها الغَيّص إلا بقوة؛ فكيف تطفو على سطح البحر ثم تعود؟

ثم رَجَّح أنها تتكون من جسم غريب أو ذرة رمل أو ما شابه ذلك، تدخل في المحارة، وحين يتأذى منها الحيوان الرخو الذي يسكن المحارة[39] يدافع عن نفسه بإفراز مادة لؤلؤية تكسو ذلك الجسم الغريب وتتكون حوله[40]. وجودتها بحسب قوة إفراز الحيوان[41].

2- ما دوَّنه جمعة بن خليفة الحميريّ في حديثه عن كيفية تكوّن اللؤلؤ؛ فنجده يذكر أنه يتكون من إفرازات عرق اللؤلؤ التي يفرزها حيوان المحار الرخويّ الذي يعيش داخل صدفتين بمصراعين يفتحها ويغلقها بقوةِ عضلاتٍ إرادية، وذكر أن من الشائع عدم تكوّن اللؤلؤ إلا في البحار المالحة، ثم استدرك بأن الحقيقة العلمية أثبتت أنه قد يتكون في المياه العذبة أيضًا، وهو ما يعني أن اللؤلؤ والمرجان يعيشان في المياه المالحة والعذبة[42]، ثم حدد أماكن البحار والأنهار التي تم استخراج اللؤلؤ منها؛ فأما البحار فهي:

1- الخليج العربيّ.

2- جزر سيلان.

3- بعض شواطئ الهند.

4- البحر الأحمر.

5- اليابان.

6- أستراليا.

7- أرخبيل سولو شمال جزيرة بورنيو.

8- بعض جزر المحيط الهندي.

وأما الأنهار فهي:

1- في تشيكوسلوفاكيا السابقة.

2- في بريطانيا.

3- في كندا.

4- في الصين.

5- في اليابان.

6- في أمريكا الشمالية.

ثم ذكر أن لآلئ المياه المالحة التي تكُون فيها عيون وينابيع مياه عذبة هي الأفضل؛ لذلك كانت لآلئ البحرين هي الأجود لوجود عيون ينابيع ماء عذب داخل مياه البحرين[43].

(39) يُنْظَر: تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج العربيّ، سيف مرزوق الشملان، ص150- 151.

(40) وإلى هذا ذهب غير واحد. يُنْظَر: جغرافية البحار والمحيطات، د. مهدي محمد علي، ص342؛ علم الأحياء البحرية، جون ريزك جونير ص269؛ البحار والمحيطات إعجاز وكنوز، د. حسن محمد عنبر، ص213؛ اللؤلؤ، أ.د عبدالله الغنيم ص93.

(41) يُنْظَر: ملحق الصور (صورة رقم: 3).

(42) وهو ما يلمح من كلام عبدالله الغنيم في كتابه اللؤلؤ، ص59 حيث ذكر أن محارات اللؤلؤ بحرية ونهرية.

(43) يُنْظَر: رحلة الغوص واللؤلؤ، جمعة خليفة الحميريّ، ص152- 153.

3- بسؤال الأستاذ إبراهيم بن حسن الجابر[44] كبير الغواصين في دولة قطر عن علاقة اللؤلؤ بالمطر أجاب بأن المطر إذا جاء فيما يسميه العامة بالوَسْم[45]؛ فإن أهل اللؤلؤ يستبشرون خيرًا بموسم لؤلؤٍ خصب مثلما يستبشر أهل بهيمة الأنعام بالخصب، وبنحو قوله أفاد الأستاذ: أحمد بن إبراهيم الدحيم[46]؛ حيث قال: سمعت من كبار السن أنهم يرون اللؤلؤ مثل الكمأة نتاج مطر الوسم.

يتلخص مما عرضته من كلام أهل الخبرة والاختصاص ما يأتي:

أولًا: لم يعارِض ممن نقلت كلامه وجود علاقة بين المطر وتكوّن اللؤلؤ إلا سيف الشملان لِلْحُجَّتَيْن اللَّتَيْنِ ذكرهما، وتابعه على رأيه بعض أهل بلده كالأستاذ نواف العصفور، وعندي أن تلك الحجتين -ولو سلّمنا بهما جدلًا للقول بامتناع تكوّن اللؤلؤ على الهيئة الموصوفة من طفو المحار على سطح البحر إبّان نزول المطر- غيرُ مانعتين من كون المطر سببًا في تكوّن اللؤلؤ بوجهٍ آخر؛ كأنْ تنزل القطرة من المطر على البحر فلا تختلط بمائه حتى تقع في المحارة.

وأما ما ذَكَر من كون اللؤلؤ يتكون بسبب جسم غريب أو ذَرَّةِ رمل تقع في المحّارة؛ فأقول: لعل ذلك الجسم الغريب هو قطرة المطر التي تنزل وفيها ما علق بها من ذرات الرمل التي في الهواء؛ فقد ثبت علميًّا أن قطر المطر قد ينزل وفيه شيء من الشوائب التي في الهواء[47].

ثانيًا: سيف الشملان الذي أنكر علاقة المطر بتكوّن اللؤلؤ؛ لم يتطرق لتكوّن اللؤلؤ من المياه العذبة التي تنبع عيونًا في البحار نفيًا أو إثباتًا، بينما الباقون ذكروا وجود علاقة بين جودة اللؤلؤ في خليج العرب وبين وجود الينابيع العذبة فيه.

ثالثًا: وهذا امتداد للعنصر السابق؛ الربط ما بين مطر الوسم وكثرة اللؤلؤ إذا جاء في أوانه واستبشار الغواصين بذلك مثلما يستبشر أهل البادية بكثرة الخصب إذا أصابهم مطر الوسم؛ بحسب ما أفاد إبراهيم الجابر وأحمد الدحيم.

رابعًا: استخراج اللؤلؤ من مياه الأنهار، مما يعني ثبوت عدم اختصاص المياه المالحة بخروج اللؤلؤ منها.

***

المبحث الثالث:

تحرير القول الراجح بمرجع الضمير في قوله تعالى:

﴿يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾ [الرحمن: 22]

بعد استعراض أقوال العلماء من مفسرين ولغويين وغيرهم، والوقوف على كلام ذوي الخبرة والاختصاص،

(44) يُنْظَر: ملحق الصور (صورة رقم: 3 و4 و5).

(45) قال ابن منظور في لسان العرب (12/ 636): "والوسمي: مَطَرُ أول الربيع، وهو بعد الخريف؛ لأنه يَسِمُ الأرض بالنبات فيصير فيها أثرًا في أول السنة".

(46) جَدّه عبدالله بن محمد الدحيم من أهل دارين في المملكة العربية السعودية، وهو الذي استخرج أكبر دانة عادت بالغنى ليس عليه وحده بل على أهل دارين كلهم في زمانه ﷺ.

(47) يُنظَر: (هل شرب مياه الأمطار آمن؟ دراسة تجيب) مقال منشور في صحيفة الشرق الأوسط بتاريخ 21 أغسطس 2022 م الموافق 23 محرم 1444هـ؛ و(كيف ينزل المطر؟) مقال كتبه أورخان محمد علي، منشور على موقع إسلام أون لاين.

وحيث إن مَن قالوا بأن البحر المالح هو الذي يخرج منه اللؤلؤ والمرجان خالفوا بهذا ظاهر النص، واضطروا إلى تأويل خروجهما من البحرين المخالف للواقع في نظرهم؛ فتكلفوا تخريجاتٍ لأجل دفع الإشكال الذي نتج عن قولهم ذلك؛ بل إن أقوالهم اختلفت وهم يدفعون الإشكال؛ لذلك كله فإن المقدَّم عندي في معنى الآية -والله أعلم- هو حَمْلُها على ظاهرها، وهذا مقتضى قول الطبريّ[48]، وابن عاشور[49] وصرح به الشنقيطيّ[50]؛ والحجة لذلك هي ما يأتي:

أولًا: أن القول بهذا هو الموافق لصريح القرآن في قول الله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ ...﴾ [فاطر: 12]، "فالتنوين في قوله: (من كل) تنوين عِوَض[51]؛ أي: مِن كلِّ واحدٍ مِن العذب والملح تأكلون لحمًا طريًّا وتستخرجون حلية تلبسونها، وهي اللؤلؤ والمرجان، وهذا مما لا نزاع فيه"[52].

ثانيًا: يرى الباحث أنه بالنظر إلى سياق سورة الرحمن التي وردت فيها هذه الآية؛ نجد أن الله -تعالى- تحدث فيها عن أزواجٍ من آلائه، ووصفها بأوصاف تَصْدُق عليها جميعها؛ هذه الأزواج هي: الإنسان والجانّ، والشمس والقمر، والنجم والشجر، والسماء والأرض، والـمَشرقان والـمَغربان، وجنتان لمن مخاف مقام ربه ذواتا أوصاف مخصوصة، ومن دونهما جنتان أخريان؛ والبحران وما يخرج منهما من اللؤلؤ والمرجان من جملة ما تحدث الله عنه في السورة؛ فما الذي يجعلنا نحمل جميع ما ذكر في السورة عن تلك الأزواج على ظاهره ثم نميز ما ذكر عن البحرين وما يخرج منهما فنحمله على خلاف ظاهره؟

ثالثًا: يرى الباحث أنَّ مَن حَمَلَ الآية على ظاهرها لم ينتج عن قوله إشكال؛ بل إن قوله يُبْرِز شكلًا من أَشكال الإعجاز المنعوت بالعلميّ، وهو بهذا يفيد فائدة؛ ألا هي أن القرآن الذي امتنّ الله على الناس في مطلع هذه السورة بتعليمهم إياه لم يتقوّله محمدٌ ﷺ الذي عاش بين جبال مكة وترعرع في البوادي حولها، ولم يُعْهَد عنه أنه ركب البحر طالبًا اللؤلؤ والمرجان؛ فأنَّى له أنْ يخبر بهذا الخبر عن أعماق البحار على اختلاف خصائصها!

في حين أنه لو أُخِذَ بقول مَن فَسَّرَها على خلاف ظاهرها فستضيع بقوله هذه الفائدة.

رابعًا: يرى الباحث أن مَن قال بخلاف ظاهر الآية، مِن أن اللؤلؤ والمرجان لا يخرجان من البحرين المالح والعذب بل من المالح وحسب؛ يُخْشَى أن يكونوا وقعوا

---

(48) يُنظَر: جامع البيان، الطبريّ (22/ 204).

(49) يُنظَر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (17/ 232).

(50) يُنظَر: أضواء البيان، الشنقيطيّ (7/ 500).

(51) ويسمى: تنوين التعويض، وهو الذي يعوض به إما عن حرف ويكون في آخر الاسم المنقوص، وإما عن اسم وهو اللاحق لكل، وإما عن جملة وهو اللاحق لإذْ. يُنظَر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (1/ 17).

(52) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطيّ (7/ 500)، وهذا هو مقتضى تفسير الزمخشريّ في الكشاف 3/ 604 حيث قال: "أي: ومن كل واحد منهما تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيًّا وهو السمك وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً وهي اللؤلؤ والمرجان"، ومثله النسفي في تفسيره 3/ 81.

-جهلًا دون قصد- فيما وبّخ الله الإنس والجن عليه في هذه السورة غير مرة بقوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 23]، قال الطبريّ في معنى هذه الآية التي جاءت بعد حديثه عن البحرين وما يخرج منهما: "فبأي نِعَم ربكما معشر الثقلين التي أنعم بها عليكم فيما أخرج لكم مِن منافع هذين البحرين تُكذّبان"(53).

***

الخاتمة

اللهم لك الحمد كله على تمام المقصود، وأختمه بتسجيل أبرز النتائج، والتوصيات للباحثين.

فأما النتائج فهي:

- وجود خلاف معتبر بين العلماء من مفسرين ولغويين في معنى قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾؛ فليس ما اشتهر من القول بخروجهما من المالح دون العذب هو القول الأوحد.
- مَن قال بخروجهما مِن البحرين: المالح والعذب اختلفوا في تحديد ماهية العذب؛ أهو ماء المطر؟ أم العيون؟ أم مطلق العذب؟ والأحسن عندي أنه مطلقه لاستيعابه جميع ما قيل فيه.
- مَن قال بأنهما يخرجان من المالح وحسب ترتب على قولهم إشكال احتاجوا إلى مدافعته بأكثر من قول؛ فمِن قائلٍ بأن اجتماعهما في سياق واحد سوّغ نسبتهما إليهما، وقائلٍ بوجود محذوف تقديره: مِن أحدهما.
- لما كان قول أصحاب القول السابق حَمْلًا للآية على خلاف الظاهر؛ احتاجوا معه إلى حشد حجج تؤيد ما ذهبوا إليه؛ فجاءوا بدليل من الحس، ومن كلام الله، وكلام الناس نثرًا وشعرًا بخلاف مَن حمل الآية على ظاهرها لم يحتج إلى ما يؤيد به رأيه.
- أغلب ذوي الخبرة والاختصاص الذين تم الاطلاع على كتاباتهم أو سؤالهم ذكروا وجود علاقة بين مطر الوسم وبين وفرة اللؤلؤ، ومنهم من تطرّق إلى ذكر جودة لؤلؤ الخليج لما في مياهه من الينابيع العذبة.
- القول المقدَّم عندي هو أن اللؤلؤ والمرجان يخرجان من البحرين كليهما العذب والمالح؛ لأنه القول الموافق لصريح القرآن في آية فاطر، كما أنه الموافق لسياق سورة الرحمن التي تحدثت عن أمور منسوبة على وجه الحقيقة لأزواج مختلفة من المخلوقات، ولأنه لا يترتب عليه إشكال في نظم الآية بل يبرز شيئًا من الإعجاز العلميّ في القرآن، ناهيك بأنه يخشى على مَن قال بخلافه الوقوع -جهلًا- دون قصد في التكذيب الذي تكرر التوبيخ عليه في السورة.

وأما التوصيات، فيوصي البحث بما يأتي:

- القيام بدراسة موسعة تعنى بجمع الآيات التي فسرت على خلاف ظاهرها استنادًا على دليل الحس.
- وضع دراسة عن الترجيح بين أقوال المفسرين بالنظريات والحقائق العلمية الصادرة عن أهل الخبرة والاختصاص.

والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه.

(53) يُنظَر: جامع البيان، الطبريّ (22/ 204).

قائمة المصادر والمراجع

الإتقان في علوم القرآن. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (المتوفى: 911هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، د.ط، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ - 1974م.

أحكام القرآن. الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحنفي (المتوفى: 370هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمد علي شاهين، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ - 1994م.

أحكام القرآن الكريم. الطحاويّ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري (المتوفى: 321هـ)، تحقيق: الدكتور سعد الدين أونال، ط1، إستانبول: مركز البحوث الإسلامية التابع لوقف الديانة التركي، المجلد 1: 1416هـ - 1995م / المجلد 2: 1418هـ - 1998م.

الإصابة في تمييز الصحابة. العسقلانيّ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر (المتوفى: 852هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلى محمد معوض، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ.

أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار (المتوفى: 1393هـ)، د.ط، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415هـ - 1995م.

إعراب القرآن. النَّحَّاس، أبو جعفر، أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: 338هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1421هـ.

إعراب القرآن وبيانه. درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى (المتوفى: 1403هـ)، ط4، سورية: دار الإرشاد للشئون الجامعية، (دار اليمامة - دمشق - بيروت)، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت)، 1415هـ.

أمالي ابن الشجري. ابن الشجري، ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة (المتوفى: 542هـ)، تحقيق: الدكتور محمود محمد الطناحي، ط1، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1413هـ - 1991م.

إيضاح شواهد الإيضاح. القيسي، الحسن بن عبد الله (المتوفى: القرن 6هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد ابن حمود الدعجانيّ، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1408هـ - 1987م.

البحار والمحيطات إعجاز وكنوز. عنبر، د. حسن محمد ، د.ط، الرياض: المنظمة الإقليمية للمحافظة على نظافة البحار، 1427هـ.

بحر العلوم. السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد، د.ط، د.م: د.ن، د.ت.

البرهان في علوم القرآن. الزركشيّ، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (المتوفى: 794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، 1376هـ - 1957م.

تاريخ ابن يونس المصريّ. الصدفيّ، عبد الرحمن بن أحمد بن يونس، أبو سعيد (المتوفى: 347هـ)، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1421هـ.

تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج العربيّ. الشملان، سيف مرزوق، د.ط، الكويت: ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع، 1989م.

تأويل مشكل القرآن. الدينوريّ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (المتوفى: 276هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

التبيان في إعراب القرآن. العكبريّ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله (المتوفى: 616 هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، د.ط، القاهرة: عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ت.

التحرير والتنوير. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر

(المتوفى: 1393هـ)، د.ط، تونس: الدار التونسية للنشر، 1984هـ.

التسهيل لعلوم التنزيل. الكلبي، أبو القاسم، محمد بن أحمد، ابن جزي (المتوفى: 741هـ)، تحقيق: الدكتور/ عبد الله الخالديّ، ط1، بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، 1416هـ.

التَّفْسِيرُ البَسِيْط. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد (المتوفى: 468هـ)، المحقق: أصل تحقيقه في (15) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ط1، الرياض: عمادة البحث العلميّ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1430هـ.

التفسير العلميّ للقرآن في برنامج "لا يوجد تعارض" دراسة تحليلية نقدية. سقا، د. مرهف عبدالجبار، د.ط، القصيم: السجل العملي لمؤتمر الدراسات الحديثة في تفسير النص القرآنيّ "رؤية تقويمية"، جامعة القصيم، د.ت.

تفسير القرآن. أبو المظفر السمعاني، منصور بن محمد (المتوفى: 489هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، ط1، الرياض: دار الوطن، 1418هـ - 1997م.

تفسير القرآن العزيز. ابن أبي زَمَنِين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيريّ المالكيّ (المتوفى: 399هـ)، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، ومحمد بن مصطفى الكنز، ط1، القاهرة: الفاروق الحديثة، 1423هـ - 2002م.

تفسير الماتريديّ. الماتريدي، محمد بن محمد، أبو منصور (المتوفى: 333هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1426هـ - 2005م.

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (المتوفى: 1376هـ)، المحقق: عبد الرحمن اللويحق، ط1، د.م: مؤسسة الرسالة، 1420هـ - 2000م.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن. محمد بن جرير، أبو جعفر الطبريّ (المتوفى: 310هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، ط1، مصر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 1422هـ - 2001م.

الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاريّ. البخاري، محمد ابن إسماعيل أبو عبدالله (المتوفى: 256هـ)، المحقق: محمد زهير الناصر، ط1، د.م: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، 1422هـ.

الجامع لأحكام القرآن. القرطبيّ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاريّ (المتوفى: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردونيّ، وإبراهيم أطفيش، ط2، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1384هـ - 1964م.

جغرافية البحار والمحيطات. علي، د. مهدي محمد، د.ط، العراق: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، د.ت.

الحجة للقراء السبعة. الفارسيّ، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو علي (المتوفى: 377هـ)، تحقيق: بدر الدين قهوجي، وبشير جويجابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح، وأحمد يوسف الدقاق، ط2، دمشق / بيروت: دار المأمون للتراث، 1413هـ - 1993م.

حياة الحيوان الكبرى. الدميريّ، محمد بن موسى بن عيسى بن علي، أبو البقاء كمال الدين الشافعيّ (المتوفى: 808هـ)، ط2، بيروت: دار الكتب العلمية، 1424هـ.

رحلة الغوص واللؤلؤ. الحميريّ، جمعة خليفة، د.ط، دبي: هيئة التنمية والمعرفة البشرية/ جمعية الإمارات للغوص، 2011هـ.

سير أعلام النبلاء. الذهبيّ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (المتوفى: 748هـ)، تحقيق: مجموعة من

المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط3، د.م: مؤسسة الرسالة، 1405هـ - 1985م.

شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. ابن عقيل، عبد الله بن عبدالرحمن العقيلي الهمداني المصري (المتوفى: 769هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط20، القاهرة: دار التراث، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، 1400هـ - 1980م.

شرح صحيح البخاريّ. ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبدالملك (المتوفى: 449هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط2، الرياض: مكتبة الرشد، 1423هـ - 2003م.

شعر عبدالله بن الزبعرى. الجبوريّ، يحيى، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1398هـ - 1978م، ط2، 1401هـ - 1981م.

طبقات الشافعية الكبرى. السبكيّ، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (المتوفى: 771هـ)، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، ط2، مصر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، 1413هـ.

علم الأحياء البحرية. جونير، جون ريزك، ترجمة: أ. د. عبدالكريم محمد علي خفاجي، ط1، السعودية: مركز النشر العلمي بجامعة الملك عبدالعزيز، 1420هـ - 1999م.

غرائب القرآن ورغائب الفرقان. النيسابوريّ، الحسن بن محمد بن حسين القميّ (المتوفى: 850هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1416هـ.

فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن. الأنصاريّ، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: 926هـ)، تحقيق: محمد علي الصابونيّ، ط1، بيروت: دار القرآن الكريم، 1403هـ - 1983م.

فقه اللغة وسر العربية. عبد الملك بن محمد، أبو منصور الثعالبيّ (المتوفى: 429هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، ط1، د.م: إحياء التراث العربيّ، 1422هـ - 2002م.

كتاب الشعر أو شرح الأبيات المشكلة الإعراب. الفارسيّ، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار أبو علي (المتوفى: 377هـ)، تحقيق وشرح: الدكتور محمود محمد الطناحي، ط1، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1408هـ - 1988م.

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (المتوفى: 538هـ)، ط3، بيروت: دار الكتاب العربيّ، 1407هـ.

الكشف والبيان عن تفسير القرآن. الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم (المتوفى: 427هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعديّ، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربيّ، 1422هـ - 2002م.

اللؤلؤ. الغنيم، أ.د عبدالله بن يوسف، ط2، بيروت: دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، 1419هـ - 1998م.

لسان العرب. ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين (المتوفى: 711هـ)، ط3، بيروت: دار صادر، 1414هـ.

مجاز القرآن. البصريّ، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيميّ (المتوفى: 209هـ)، تحقيق: محمد فواد سزگين، د.ط، القاهرة: مكتبة الخانجيّ، 1381هـ.

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب (المتوفى: 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1422هـ.

مدارك التنزيل وحقائق التأويل. النسفيّ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود (المتوفى: 710هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، ط1، بيروت: دار الكلم الطيب، 1419هـ - 1998م.

المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ. مسلم، بن الحجاج القشيريّ النيسابوريّ (المتوفى: 261هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربيّ، د.ت.

"مصطلح الغريب" قراءة في كتاب غرائب التفسير وعجائب التأويل للشيخ الإمام برهان الدين أبي القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرمانيّ (ت نحو 535هـ)، الغزالي، أ. د. محمد حامد حسين، بحث منشور في مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية – مصر، العدد (35)، ص2854، إصدار ديسمبر 2020م.

معالم التنزيل في تفسير القرآن. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد (المتوفى: 510هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربيّ، 1420هـ.

معاني القرآن. الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي (المتوفى: 207هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، ط1، مصر: دار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت.

معاني القرآن وإعرابه. الزَّجَّاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل (المتوفى: 311هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، ط1، بيروت: عالم الكتب، 1408هـ – 1988م.

معجم اللغة العربية المعاصرة. د. عمر، أحمد مختار عبد الحميد (المتوفى: 1424هـ)، ط1، مصر: عالم الكتب، 1429هـ – 2008م.

معجم لغة الفقهاء. قلعجي، محمد رواس؛ قنيبي، حامد صادق، ط2، د.م: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، 1408هـ – 1988م.

مقال: (هل شرب مياه الأمطار آمن؟ دراسة تجيب). منشور في صحيفة الشرق الأوسط بتاريخ 21 أغسطس 2022م الموافق 23 محرم 1444هـ.

مقال: (كيف ينزل المطر؟). كتبه أورخان محمد علي، منشور على موقع إسلام أون لاين.

المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. النوويّ، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (المتوفى: 676هـ)، ط2، بيروت: دار إحياء التراث العربيّ، 1392هـ.

النكت والعيون. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد البصريّ (المتوفى: 450هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

النهاية في غريب الحديث والأثر. ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد (المتوفى: 606هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، د.ط، بيروت: المكتبة العلمية، 1399هـ – 1979م.

الهداية إلى بلوغ النهاية. القيسي، مكي بن أبي طالب حَمّوش (المتوفى: 437هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلميّ – جامعة الشارقة، بإشراف: أ. د. الشاهد البوشيخيّ، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، ط1، 1429هـ – 2008م.

* * *

ملحق الصور

الصورة رقم: 1

منظر لأحد (الچواچب) من سطح البحر

الصورة رقم: 2

منظر لأحد (الچواچب) من أعماق البحر

الصورة رقم: 3

صدفة بداخلها حيوان المحار، وجمعت هذه الصَّدَفة عددًا من حبات اللؤلؤ الصغيرة بلونها المعهود الأبيض المائل للصفرة، بالإضافة إلى حبات من اللؤلؤ النادر ذي اللون الرماديّ

الصورة رقم: 4

كبير الغواصين في دولة قطر الأستاذ: إبراهيم الجابر يشرح لوزير الثقافة في دولة قطر وبعض زوار معرضه

سعد بن محمد بن سعيد آل عثيمين: مسارب الخُلجان لتحرير معنى قول الله تعالى: ﴿يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾ [الرحمن:22]

الصورة رقم: 5

الأستاذ إبراهيم الجابر يتجوّل في أحد الهيرات المليئة بالأصداف التي يقوم بجمعها واستخراج اللؤلؤ منها

❊ ❊ ❊